برنامج (أخلاق اجتماعية)

الدكتور محمد خير الشعال

http://dr-shaal.com

الحلقة الحادية عشرة:
اللباس والزينة

لباس الرجل في الشريعة الإسلامية

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلَّم على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين أرحّب بكم -أيها الإخوة المستمعون- في برنامجكم "أخلاق اجتماعية"، نتدارس فيه بعض الأخلاق الاجتماعية، الإيجابية منها والسلبية، لنبيّن حَسَنَها، ونحذّر من قبيحها وسيئها.

حديثنا اليوم عن ميزة خصَّ الله بها بني آدم إكراماً لهم وتمييزاً عن باقي المخلوقات...

حديثنا عن أمر اعتنى الإسلام به عناية فريدة لا تجدها في قانون وضعي آخر، حتى إنك تكاد لا تجد كتاباً مرجعاً من كتب الفقه الإسلامي إلا تجد فيه بحثاً مطولاً عن ذلك...

حديثنا عن نعمة امتنَّ الله تعالى بها على سيدنا آدم لما أسكنه الجنة، فقال له: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾ [طه:118]،

سنتحدث عن نعمة وميزة ومنة، عن آية من آيات الله اسمها "اللباس"، ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٢٦]

قال أحد الباحثين: العري فطرة حيوانية ولا يميل الإنسان إلى العري إلا وهو يرتكس إلى مرتبة أدنى من مرتبة الإنسان، وإن رؤية العري جمالاً هو انتكاس في الذوق البشري بلا شك،

ومؤشر واضح على الجهل والتخلف في المجتمع البشري، فالمتخلفون في أوسط أفريقيا كانوا عراة، ولما دخل الإسلام إليهم كان أول مظاهره اكتساء العراة.

هذا وقد وقعت يدي على كتاب مؤلف من خمس مئة وخمسين صحيفة حمل عنوان "اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية"، وهذا الكتاب هو عبارة عن رسالة دكتوراه، فأحببت أن اختصر لكم هذا الكتاب.

تَرِدُ على اللباس الأحكام التكليفية الأربعة التالية: الفرض، والسنة، والكراهة، والتحريم.

✓ **أولاً- اللباس المفروض:**

وهو ما يستر العورة ويقي الحرّ والبرد. والعورة في اللغة: مشتقة من العور، نقول عين عوراء، وتقول كلمة عوراء يعني قبيحة، وسميت العورة عورة لأنه يقبح على الرجل أن يظهرها للناس وقبيح على الناس أن ينظروا إليها.

والعورة في الشرع: هي كل ما حرَّم الله تعالى كشفه أمام من لا يحل نظره إليه.

- **قال النبي ﷺ: «لاَ يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ وَلاَ تَنْظُرُ الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ»** [مسلم والترمذي]
- كان الناس في الجاهلية يطوفون حول الكعبة عراة إن لم تتحصل لهم ثياب من ثياب قريش، يقولون: ثياب عصينا الله تعالى فيها لا نطوف بها، وعندما آلت الدولة الفارسية والرومانية إلى السقوط انتشرت فيها حمامات العري والمسابح المختلطة، يدخل الرجال والنساء إلى تلك المسابح والحمامات من غير لباس، وبعد حين سقطت الدولة الرومانية أو الفارسية، واليوم تعود الجاهلية نفسها فتنتشر في أوروبا وأميركا وربما وردت إلينا نوادي العراة ومسابح الاختلاط وتعرض العورات على بعض شاشات الفضاء ويشاهدها الرجال والنساء الصغار والكبار. والإسلام لا يرضى عن هذا الأمر ولا يقبله لأبنائه لما فيه من مفاسد ومخاطر بل يريد لهم الستر، فيقول: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ . . ﴾ [الأعراف:٣١]

-أي ارتدوا اللباس الذي يستر العورة-، ولما أنزل الله تعالى هذه الآية جعل المسلمون بعد نزولها يطوفون حول البيت بثيابهم، فعيّرت قريش المسلمين بأنهم يسترون العورات ويطوفون بالثياب... واليوم يعيّر بعض كاشفي العورات الناس الشرفاء بسترهم عوراتهم.

- وقد فرض الإسلام ستر العورات على كل مكلف وفي كل الأوقات، وجعل ستر العورة شرطاً من شروط صحة الصلاة، ومن انكشفت عورته في الصلاة وطال الكشف بطلت صلاته، حتى إن الإسلام أمر بستر العورة في الخلوة حين يكون الإنسان وحيداً، فقال الجمهور: بوجوبه إلا لحاجة كاغتسال ونحوه، بينما جعله الإمام مالك مندوباً، وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَوْرَاتُنَا مَا نَأْتِى مِنْهَا وَمَا نَذَرُ قَالَ: **«احْفَظْ**

عَوْرَتَكَ إِلاَّ مِنْ زَوْجَتِكَ أَوْ مِمَّا مَلَكَتْ يَمِينُكَ». فَقَالَ: الرَّجُلُ يَكُونُ مَعَ الرَّجُلِ؟ قَالَ: **«إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لاَ يَرَاهَا أَحَدٌ فَافْعَلْ»**. قُلْتُ: وَالرَّجُلُ يَكُونُ خَالِيًا؟ قَالَ: **«فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ»** [الترمذي]

- وقال النبي ﷺ: **«إِيَّاكُمْ وَالتَّعَرِّي، فَإِنَّ مَعَكُمْ مَنْ لاَ يُفَارِقُكُمْ إِلاَّ عِنْدَ الْغَائِطِ وَحِينَ يُفْضِى الرَّجُلُ إِلَى أَهْلِهِ، فَاسْتَحْيُوهُمْ وَأَكْرِمُوهُمْ»** [الترمذي]

عورة الرجل ما بين السرَّة والركبة، وهناك قول مرجوح ضعيف عند المالكية والحنابلة أن الفخذ ليس بعورة، والجمهور على خلافه لقول النبي ﷺ: **«لاَ تُبْرِزْ فَخِذَكَ، وَلاَ تَنْظُرْ إِلَى فَخِذِ حَيٍّ وَلاَ مَيِّتٍ»** [أبو داود وابن ماجه]

وفي الترمذي أن النبي ﷺ مرَّ على رجل كاشف عن فخذه فقال له: **«غط فخذك، فإن الفخذ عورة»**.

والستر المطلوب إنما يكون بلباس لا يصف اللون ولا الحجم، فإن وصف الثوب اللون أو الحجم فليس بساتر عند بعض الفقهاء وساتر مع الكراهة عند قوم آخرين.

✓ **ثانياً: اللباس السنون:**

وهو ما يحصل به إظهار النعمة، فالإسلام يحب لكل مسلم أن يكون حَسَن الهيئة والهندام، بهي الطلعة جميل المنظر والمعشر.

عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَآنِي سَيِّئَ الْهَيْئَةِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«هَلْ لَكَ مِنْ شَيْءٍ»** قَالَ: نَعَمْ مِنْ كُلِّ الْمَالِ قَدْ آتَانِي اللَّهُ، فَقَالَ: **«إِذَا كَانَ لَكَ مَالٌ فَلْيُرَ عَلَيْكَ»** [النسائي]-اجعل ثيابك جميلة لنرى أثر النعمة عليك.

- وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ»** [الترمذي]
- وقَالَ النَّبِيِّ ﷺ: **«لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»** قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً؟ قَالَ: **«إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ: بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ»** [مسلم] بطر الحق: رفضه، وغمط الناس: الاستهزاء بهم.
- ويسن في اللباس التيامُن، ويسن الدعاء عند شراء اللباس الجديد: (اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه، أسألك من خيره وخير ما صُنِع له، وأعوذ بك من شرّه وشر ما صُنع له)، ويُسَن أن تتصدق بالقديم فإنه يبقى معك من الله حافظ ما دام القديم على الفقير.

✓ **ثالثاً: اللباس المكروه:**

- يكره ثوب التكبر والخيلاء، ويكره ثوب السرف، قال النبي ﷺ: **«كلوا واشربوا وتصدقوا في غير سرف ولا مخيلة، إن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»**.

[الحاكم والبيهقي]، وقال ابن عباس -رضي الله عنهما-: كُلْ ما شئتَ والبس ما شئت ما أخطأَتْكَ خصلتان: سرف ومخيلة.

- وتكره الصلاة في الثوب الذي عليه صورة، قالت عائشة -رضي الله عنها-: (أنه كان لها ثوب فيه تصاوير ممدود إلى سهوة، فكان النبي ﷺ يصلي إليه، فقال: **«أخِّريه عني»**، قالت: فأخَّرته فجعلته وسائد). [مسلم]

- ويُكرَه للرجل والمرأة لبس نعل لها صوت، وكذا المشي بنعل واحدة لحديث النبي ﷺ: **«لا يمشي أحدكم في نعل واحدة، ليُحفِهما جميعاً أو لينعلهما جميعاً»**. [متفق عليه]

✓ **رابعاً: اللباس المحرَّم:**

هو لباس الحرير والذهب للرجال، عن علي ▲ قال: **«أَخَذَ رسول الله ﷺ حَرِيرًا فَجَعَلَهُ فِي يَمِينِهِ، وَأَخَذَ ذَهَبًا فَجَعَلَهُ فِي شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي»** [النسائي وأحمد].

وقال النبي ﷺ للرجال: **«لَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ، فَإِنَّهُ مَنْ لَبِسَهُ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الْآخِرَةِ»** [مسلم]

أما النساء فيجوز لهن ارتداء الحرير والتحلّي بالذهب.

هذا وإنَّ حكم استعمال المصنوع من الحرير والذهب كحكم لبسهما، فلا يجوز لك اتخاذ خاتم أو قلم أو ساعة من ذهب.

ويحرم على الرجال أيضاً التشبه بالنساء في أي شيء من اللباس، **«لَعَنَ النَّبِيّ ﷺ الْمُتَشَبِّهَاتِ مِنْ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ وَالْمُتَشَبِّهِينَ مِنْ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ»** [أبو داود وابن ماجه]، وأخرج عمر ▲ مخنثاً ونفاه من المدينة.

أما التشبه بغير المسلمين فإن كان رضا بعقيدتهم فهو حرام، وأما إن كان تقليداً أعمى فقد قيل: إن اختيار أمة للباس أمة غيرها ما هو إلا نتيجة وإعلان لما في هذه الأمة من مركب النقص. وقالوا: عندما يصاب المرء في دينه وتسيطر عليه الأهواء والشهوات فإنه ينطلق يتلقف ما عند الأمم الأخرى خيره وشره حقه وباطنه، حتى لو دخلوا في جحر ضب لدخل وراءهم.

هذا هو باختصار حكم الإسلام في لباس الرجل المفروض والمسنون والمكروه والمحرم، وإنك لن تجد قانوناً من قوانين الأرض ولا نظاماً من الأنظمة الاجتماعية تحدث عن اللباس كما تحدث عنه الإسلام الحنيف؛ ذلك لأن الإسلام يريدك أن تكون كاملاً في عقيدتك، وكاملاً

في شريعتك، وكاملاً في أخلاقك، وكاملاً حتى في لباسك، وإنها لمفخرة وأي مفخرة، ومأثرة وأي مأثرة.

قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ» [مسلم]

إلى لقاء آخر أستودعكم الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته